

سوزان الفقي

مقدمة:

أنا سوزان عبد المجيد الفقي، التي شاءت الأقدار أن أكون فردا في عائلة العملاق رياض السنباطي ، وشاءت أن تضعني في مكانة تجعلني قريبة منه، زوجة ابنه القريب لقلبه محمد، وتكرر جلساتي وأحاديثه معي، ويقرر أن يروي لي قصة حياته.

عرفته وهو في أواخر عمره، في فترة كان هو نفسه يعتبر أنه يخطو للنهاية، فقد فقد كل رفقاء مشواره وأهمهم رفيقة دربه أم كلثوم، وحين دخلت إلى حياته قال لي: "الحياة مستمرة فيكم أنتم الشباب، لن تتوقف برحيلي، أنت زوجة ابني وستأتيني بأحفاد يحملون اسمي وده هيمد في عمري و تستمر الحياة، وما أرويه لكِ عاوزك تحفضيه وتحكيه لأولادك وأحفادك".

مسئولية كبيرة لأستطيع أنا بشخصي المتواضع أن أنقل قصة حياة هذا العملاق الذي كان ينظر للفن بأنه رسالة للارتقاء بالشخصية وانتقالها إلى مستوى أعلى من الفهم، ويحضه على تذوق الصعب والعميق من الشعر ومن الموسيقى.

لم أفكر رغم مرور سنوات طويلة أن أكتب ما كان يرويه لي، فقد كان كل تفكيري أن أنفذ ما قاله وأحكيه لأولادي وأحفادي، ولكن عندما كنت أكتب بعض النبذات عنه على صفحات التواصل الاجتماعي، كنت ألقى كلمات الإعجاب والاهتمام الكبير بحياة هذا العملاق، وكأنهم كانوا متشوقين بشده لمعرفة أي شيء عن حياته، وأن يتعرفوا على شخصية من أبدع هذه الألحان، وهو منعزل في برجه العاجي، لا يعرف أحد عنه إلا القليل، وكأنني فتحت لهم بابا كانوا يتطلعون لفتحه، ولذلك، ولهذا السبب، ولما لمستته من حب

واهتمام وتقدير من محبيه، بل من عاشقيه، والذين كانوا هم دائما المساندين والمشجعين له ولفنه رغم صعوبته، فكانوا هم الأهم له، هذا إلى جانب تشجيع زوجي للقيام بهذه المهمة الصعبة، فقد قررت أن عشاقه ومحبيه لهم الحق في أن أروي لهم أيضا، كما كنت أروي لأولادي سيرته الذاتية، وأدعو الله أن أوفق في هذه المهمة الصعبة، وأن تكون على قدر ولو قليل، يتناسب مع قدر هذا العملاق، وأنا لم يسبق لي أن خضت تجربة الكتابة، وتجربة مهمة وصعبة مثل هذه من قبل.

معروف عدم وجود أي معلومات عن هذا العملاق الذي كان يعيش في عزلته ولا يسمح لأحد أن يقتحمها، قال لي بعد بعض الجلسات التي تعرف فيها علي أكثر، كما عرفته أنا أيضا كإنسان قال لي في إحدي هذه الجلسات وعلي غير توقع :

"أنا سعيد بأن أحكي قصة حياتي لزوجة ابني الحبيب محمد، محمد ابني اللي كافح وصمم على إكمال تعليمه، واستطاع أن يحقق حلمه، ويصبح مهندس طيران، أنا شايف إن ده شيء عظيم، ولذلك أنا باحترمه وباعزه مش علشان هو الولد اللي جالي بعد ثلاث بنات فقط، لأ علشان راجل قدّ المسؤولية، وإنت غلاوتك من غلاوته، كان يخطر ببالي أحيانا أن أكتب مذكراتي، لكن لم يكن عندي دافع قوي، صعب بالنسبة لي أقعد أسجلها أو أكتبها، دي مش مهنتي وما عنديش صبر ليها، لكن دلوقتي في الوقت الحالي أنا بدي أقولها، ويشاء القدر بأنك تبقي فرد من عيلتي، وتكون الظروف مهيأة ، وأحكي لها حكايتي ، علشان تحكيها لأحفادك ويتناقلوها لأولادهم، ربما تفيدهم ويتعلموا منها حاجة، فيه بعض الصحفيين والأدباء عرضوا عليه مرات أن يسجلوا معايا قصة حياتي، لكن أنا رفضت لأنني عارف

نفسي، أنا مش في استطاعتي إني أرتبط بمواعيد، واضطر أن ألتزم بها، وأقعد مع شخص غريب بالساعات، وأقعد أتكلم معاه، ده مش في استطاعتي، ثم إني في الوقت ده كان فكري مشغول بالموسيقى، وبالشغل، ما كانش فيه إمكانيه لذلك، لكن إنت مرأة، ابني، يعني واحدة من العيلة، مش هاختشي لو مش عاوز أتكلم ، ومش ملتزم بمواعيد، وفي الوقت الحالي أنا فعلا ليا غرض أتكلم ، وبدي أحكي وهاكون سعيد وأنا باحكي لك قصة حياتي ، ربنا بقى هو اللي بيرتب كل شئ، هو قدر لك إنك تتجوزي محمد، وكمان تكوني من المهتمين بالموسيقى، وعارفة ألحاني ، وبتحبها كل دي ظروف ربنا هو اللي بيرتبها، أنا عملت أحاديث كتير مع صحفيين باتفاجئ فيها بأسئلة شخصية فيما يخص مشوار حياتي الشخصية، مش الفنية، بل الخاصة، أنا باتفاجئ بالأسئلة من النوع ده ، وقتها لا تحضرني الذاكرة، يعني أنا صرحت ببعض المعلومات ، ربما أكون قد أخطأت ، لأنني باتفاجئ ، لكن دلوقتي لما باتكلم معاك وأنا مرتاح وبمزاجي ، أكيد الذكريات والأحداث اللي مریت بيها بتكون واضحة في ذهني ومترتبة وباستعيد ذكرياتي بوضوح في الوقت الحالي ، لأن ذهني صافي وخالي مما يشغله ولذلك قررت إني أرويها لك".

عندما أتذكر هذه الأيام وهذه الأحداث ، وبعد ما عرفته عنه ، أشعر كأن كل ما حدث هو رسالة أنا مكلفة بها، وأنها يجب أن تسجل للتاريخ، لأن مثل هذه الشخصية يجب أن تدون وتدرس فنا وشخصا، ويعلم الله أنني لا أقوم بهذا العمل إلا حبا وتقديرا لهذه العبقريّة والشخصية الرفيعة الخلق المهيبة والبسيطة المتواضعة في نفس الوقت ، فقررت أن أنقل كل ما رواه لي، وكل ما رأيته وعرفته عنه، ولكي أستطيع أن أجعل القارئ يقترب منه أكثر، ويعرف

الأسلوب الذي كان يتحدث به معي ، أدخلت الحوار إلى القصة محاولة أن أنقل طريقته، وحديثه الجميل كما كان يقوله هو، على قدر استطاعتي في هذا الكتاب، ووضعت صوراً لتخليلي لهذه الأحداث كما صورها لي، وأتمنى أن يعرف العالم من هو رياض السنباطي، ويعرف مشوار رحلته الطويلة في الحياة ، هذا الصرح الفني الذي لم يدانه أحد إلى الآن ، ولهذا اختارته أكبر المؤسسات العالمية وأهمها ، وهي مؤسسة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة ، لينال جائزة أحسن موسيقار في العالم ، وكان الموسيقار الوحيد في مصر وفي الوطن العربي الذي نال هذه الجائزة.

ولقد استعنت ببعض الكتب التي كتبت عنه وعن تاريخه، خاصة كتاب الكاتب الأديب صميم شريف ، واسمه السنباطي وجيل العمالقة وهو من أفضل الكتب التي كتبت عنه ، وقد اقترب قليلاً من حياته الشخصية ، كما أنني قد استعنت أيضاً بزوجته الحنون السيدة كوكب عبد البر وزوجته ورفيقة عمره ، فقد كنت أعرف جيداً كما نصحتني هي ، أن زوجها لا يحب كثرة الأسئلة، وكنت أشعر بالحيرة وقتها، ونادراً ما أستطيع أن أسأله، فلابد أن يسمح لي هو بذلك ، فقد كان يقرأ التساؤل على وجهي ، فيسمح لي وقتها بالسؤال ، أما غير ذلك - وخاصة وهو يتحدث ويحكي قصته - كنت لا أجرو على مقاطعته، فتزودني والدته زوجي بما أريد أن أعرفه ، أيضاً ساعدني زوجي الحبيب بالكثير من المعلومات والأحداث التي لم أكن أعرفها .

كان على أن أسجل رحلة كفاحه وحياته الزاخرة بالأحداث ، وهو الذي لم يبحث يوماً عن الشهرة الإعلامية ، أو عن التكريم أو الجوائز، ولكن عمله فرض على الدولة والمؤسسات أن تمنحه أعلى الأوسمة والجوائز، وأهمها جائزة اليونسكو العالمية ، وهذا يكفي

ليعرف العالم كله من هو رياض السنباطي ، وأتمنى أن يتحول هذا الكتاب إلى عمل درامي ، ليكون أوسع انتشارا ، لتتعرف الأجيال الجديدة على هذا الموسيقار الفذ ، ونعرف مشواره الطموح والنجاح الذي تحقق له .